حـــديث الصومعة

رسائل من إبراهيم الدباغ لمصطفى الدباغ

ألا رحم الله إبراهيم الدباغ الشاعر الناثر الفكه الخفيف الروح ، فقد كان محدثاً طلي الحديث يحب الزرع والفاكهة ، ويرى في الحياة المرسلة على السجية فلسفة ومنهجا . فلم يكن يخضع حديثه — أو شعره — للقيود التي تفرضها حياة المجتمع ، ولم يكن يقول : هذا جائز خلقياً وهذا غير جائز ، بل كان يمضي في الحديث مسترسلا إلى حيث يقوده ، وينظم الشعر كيفما واتته القريحة . ولعل هذا سبب من الأسباب التي تحول دون نشر جانب كبير مما قرضه من الشعر ، ودون تسجيل كثير من المساجلات الفكهة التي اشترك فيها الدباغ في صومعته مع زائريه وخلانه .

وكان الدباغ منذ عام تسعة وعشرين وتسعمائة وألف يبعث إلى ابن أخيه الأستاذ مصطفى الدباغ في فلسطين رسائل يطويها على آراء له ، ونصائح يبديها ، ودروس في الأدب والشعر يسوقها متحللا من المجاملات الشخصية ، متذرعاً بالصراحة السافرة التي قد تغضب المنبين .

وقد تجمع للأستاذ مصطفى الدباغ من رسائل عمه إبراهيم الدباغ طائفة كبيرة ، فآثر أن ينشرها ويذيعها كما هي ليطلع القارئين على ما كان يمن لهذا الشاعر الفلسطيني من رأى ، وعلى ما كان يعتنقه من منهج يجعله ديدنه في الحياة .

وفي هذه الرسائل تعرض الدباغ لكثيرين من الأدباء في مصر وفي غير مصر ، وأصدر في كل منهم حكما يتسم بالصراحة والإبانة وقال في كل منهم قولا فامتدح من رآه أهلا للمديح وذم الذين عدهم مستأهلين للذمة .

ولنذكر على سبيل التسجيل طائفة من آرائه في المعاصرين والمحدثين من أهل الأدب .

قال في الدكتور شبلي شميل : كان شبلي بمضب الالحاد ، لا لرب العباد ، وبسب الدين والديان ، إذ عارضه في نظرية القرود إنسان .

وقال في الدكتور زكي أبي شادي : الدكتور أبو شادي مريع الخاطر في إنشاد القصائد ، مشغوف (كدا) بإذاعتها على علاتها

وقال في الدكتور زكي مبارك : إن نشاطه ومثابرته في الحياة الأدبية والاجتماعية ليست في حاجة إلى التدليل ، وآثاره تملأ الأفق وتحجب ضوء الشمس ، والنثر الفني جهاد سبع سنين مع غيره من المشاغل ، وقد ظهر له خلال هذه السبعة الأعوام طائفة من الكتب لم نسمع عنه أو منه تبرماً بالوقت والناس . وهو يدون كل ما يقع تحت حسه ونظره فلا تفلت منه شاردة ولا واردة إلا وألقى لها رخاً من عقله وبازياً من براعته ، وهذا ما يجب على كل أديب يحس بالحياة ويشعر بلذة العمل .

وفي الشيخ نجيب شاهين : على حديثه مسحة القرآن وأثر الاقتباس ولغته مبتذلة مع ما فيها من رنة الطرب .

وقال في طه حسين : اعتقد أن مؤلفاته كلها عقيمة ، وليست ذات قيمة !

وفي سلامه موسى : إنه وطه حسين أشد بخلا وإمساكا مما يتصور المتصورون ، وعلى العكس مبارك وخليل مطران فكلاهما مكباب مهلاك .

وفي الشعراء : بعد شوقي لا يليق أن يكون كبير شعرائنا أحد غير واحد من هؤلاء الثلاثة . مطران . محرم . الكاشف .

فالقارىء يرى أن الدباغ لا يفتقر إلى الجرأة ولا يخشى أن يصدر الرأي في قوة وثقة . وقد نختلف معه في كثير مما ارتآه ونعارضه في بعض المذاهب الاجتماعية التي دعا إليها ، ولكن هذا لا يحول دون أن نذكر له أنه صاحب رأي يعرف كيف يلقيه متمحض العينين غير مبال بما يكون له من دوي .

وقد كف بصر إبراهيم الدباغ قبيل وفاته بسنوات وسنوات فكانت هذه اللمة مدعاة لانطوائه على النفس ونفوره من الناس وإيثاره الانزواء وقعود الدار عن مخالطة أهل ندوته . وما فتئت الأمراض تقبل عليه وتنهش بدنه حتى كانت منيته ذات يوم ، ونعاه الدكتور زكي مبارك وشيع بنفسه جنازته .

وهذه المحن — فيما يبدو من رسائل الدباغ — جعلته برماً بالحياة ضيقاً بكل ما فيها ، أقرب إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل

ن كانت هذه الظاهرة لم تستطع أن تأتى على محبته للفكاهة علقه بها .

وحديث الدباغ فى رسائله التى جمت فى كتاب « حديث سومة » حديث متشعب مستفيض يبدأ من مكان وينتهى إلى حر ويمر فى الطريق على ألوان شتى من الأفكار . ولكن هذا سيث مشـــوق مبعد للمال يهيء لك أنك تصغى بنفسك إبراهيم الدباغ وتجلس معه مرهفاً السمع مصيخاً الأذن . ت إن شئت أن تقاطعه وأن ترد عليه ، لأن الجرىء فى إذاعة أى ، واسع الصدر لقبول كل رأى .

وديع فلسطين

السيد البدوى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

من هو « المريد » فى اصطلاح المتصوفين ؟ هو — إن كن نسيت ذلك الذى يفنى فى شيخه ويجعل حياته كلها طاعة جردا وعبادة . يأمر الشيخ فيطيع « المريد » وشيخ المريد ـ قلبه الخافق ، وهو عينه الباصرة ، وهو وعيه ، وهو إرادته . نيا بما حوت هى الشيخ فى عين المريد ، والطريق إلى الجنة فى خرة هو الشيخ ... هذا هو « المريد » وهذا هو شيخه .

فمن هو شيخ « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ؟ العلم لأدب والتاريخ ، هذه الأقانيم الثلاثة شيخ واحد !! له المجد ، ه العلى ، وفى سبيل طاعة هذا الشيخ يفنى « المريد » محمد فهمى د اللطيف ، وإذا قلت : يفنى ، فإننى أعنى مدلول هذه الكلمة غير كناية أو مجاز ... لأن صاحبنا يفنى حقاً فى سبيل شيخه ئث الرحمات !!

لقيته — أول مالقيته — فى ندوة دار الكتب المصرية ، ذ خمسة عشر عاماً . وكان طالبا يحصل العلم نهارا ، ويعمل فى صحافة ليلا ، لقيته فى أولى مدارج شبابه ، ناحل الجسم ، وى العود ، مضمضع البنيان ، تراه فكأنك ترى شيخاً أوقرت مره السنون ، ويتحدث الرفاق فى ندوة الدار شتى الأحاديث ، يتشعب القول فى شئون الحياة وفى أحداث السياسة ، وصاحبنا صامت لا يتكلم ، ويدور الحديث على كل لسان ، وحديث صاحبنا الذهول والاطراق !

فإذا عرج المتحدثون على العلم أو الأدب أو التاريخ ، أفاق الذاهل الطرق ، وتطاق الوجه الأسمر العابس ، وتهللت أساريره ومضى صاحبنا يفيض بما يشاء الله أن يفيض ، فما شئت من علم وأدب وتحقيق ، وما شئت من نقد وتمحيص ، وكأن هذا الجسم الناحل الذاوى قد أصبح كله « شحنة » من الكهرباء تشع بالحيوية والنور والعرفان ... وتبارك الله أقدر الخالقين .

منذ ذلك الحين تمكنت بينى وبينه أسباب المعرفة ، فلم تزدنى الأيام إلا إيماناً بغزارة علمه ورفيع أدبه وكريم خلقه . ومنذ ذلك الحين سلكته فى عداد « المريدين » فى دولة العلم والأدب والتاريخ ، ومضى هو قارئاً ومحققاً ومؤلفاً ، يضنيه البحث ، وتنهكه القراءة ، وتلح عليه ، فيتداوى بالتى كانت هى الداء . الكتب أكداس على سريره ، وعلى المناضد ، وفوق الأرفف ، وتحت المقاعد ، وعلى مائدة الطعام .

ويشفق عليه خاله الكريم ، فيمضى به إلى الطبيب ، يتجسسه ويتعرف داءه ، وفى كل مرة لا يسمع المريض ولا الخال سوى كلمات مكررة معادة : الكبت الجنسى والإجهاد وشدة الحاجة إلى الانطلاق من الكتب ، والراحة والرياضة !! وهذه الأمور كلها فى نظر « المريد » بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فالأقانيم الثلاثة شيخ واحد ... له المجد ، وله العلى ، وفى سبيله يمرض ويصح ، وله الأمر فى شأن هـذا « المريد » من قبل ومن بعد .

. . حتى إنتاجه الأدبى فى الصحافة فهو قراءة كتب ثم تلخيص ونقد وتحقيق وتمحيص . وحتى كتبه التى يؤلفها ، فهى رحلات وأسفار شاقة مضنية فى صحارى الكتب وشعاب المراجع ، يقرأ مائة كتاب ليحقق منها موضوعاً عن « أبى زيد الهلالى » يقع فى سلسلة كتب « اقرأ » ويعكف على دراسة « الجاحظ » فيمد فى تاريخه « كتاب الجاحظ الضحكوك » ثم يدعه قبل تقديمه للطبع ، ليعكف على تاريخ « السيد البدوى » أو « دولة الدراويش » فيخرج للناس فى هذا الموضوع كتاباً جليل الشأن قيم الأثر ، هو الآن بين أيدى القراء ينعمون فيه بما أنعم ، ويجنون من شهى ثماره ما أجنى .